جميل ملاعب مشيداً سفينة النجاة

ميموزا العراوي
الثلاثاء 16/12/2014

ذات مرة، قال الفنان بابلو بيكاسو **"اعطوني متحفاً. أملأه بأعمالي"**، والحقيقة أن أعماله لم تصل إلى متحف ميتروبوليتان الشهير إلا بعد مرور 50 عاماً على افتتاحه! هذا في نيويورك. أما في لبنان فالفنان جميل ملاعب المتميز بغزارة انتاجه وتعدد تجاربه الفنية، وجمالية إبداعاته التي وضعت ولازلت تتضع بصماتها على مسار الفن التشكيلي اللبناني، لم ينتظر أن يبني له أحد متحفاً. لم ينتظر أية مؤسسة حكومية ولا أي مخلوق فضائي يُسقط له من عمق الفضاء متحفاً يليق بأعماله وينير وجه لبنان الثقافي والفني.

باشر جميل ملاعب، ومنذ أكثر من ثلاث سنوات، التخطيط لبناء متحف في بلدته الجبلية بيصور التي لا تبعد كثيراً عن بيروت. ثم انتقل في السنتين الأخيرتين إلى مرحلة التنفيذ التي طرق عليها تعديلات كثيرة بعد دراسات ومناقشات وفيرة مع أصدقائه الفنانين، والنقاد، والضليعين في شؤون البناء الهندسي.

المتحف حتى الآن لا يزال قيد الإنشاء ولكنه بات في مراحل الأخيرة لإنجازه. يشير الفنان أنه كل ما مر الوقت على بناء هذا الكيان الفنيّ، كلما رغب بجعله أكثر من متحف تعرض فيه أعماله المتنوعة. إذ يرى في هذا المتحف مركزا فنياً تقام فيه الندوات وورش العمل الفنية، وتعرض فيه اختبارت فنية وحفلات موسيقية، شريطة أن تتميز بغنى ثقافي له قيمة اضافية وطاقة على فتح بوابة الإبداع من الباب العريض.

كل من ذهب إلى بيصور، ليتأمل هذا المتحف الحميمي والضخم في الآن ذاته والمطل على الجبال التي من خلفها تتبث الشمس أشعتها الأولى، شعر بالطاقة الإيجابية التي ترشح لتنتشر في الجوّ المحيط. متحف شيدت قناطره بإصرار وشغف فنان ولد تحت تأثير برج الثور الترابيّ.

أما كيف ولدت فكرة بناء متحف فيقول **جميل ملاعب:** "يبدأ الفنان حياته الفنية بغرفة من غرف المنزل الذي يعيش فيه، ثم إن تسنى له ذلك ينتقل إلى مرسم شخصي يبني فيه عالمه الفني الخاص ليخرج منه بعد ذلك إلى العالم. ومع مرور الوقت وتعمق تجربته الفنية وتوسعها يجد بأن أعماله تزداد عدداً وتصبح متباينة في أحجامها، مختلفة في المواد المشغولة بها من ألوان زيتية وأكريليك، وأويل باستيل، وسيلك سكرين وميكست ميديا وغيرها. ويكتشف أن المنحوتات الحجرية والبرونزية والخشبية بحاجة لمكان أوسع ومجهز بطريقة خاصة. هذا ما حدث تماما معي. خمسون أو ستون سنة من العمل الفني نتج عنها أعمالا متنوعة وكثيرة أرادت مني أن أصنع لها مكاناً تعيش فيه حياتها الخاصة وتتنفس بتماس مع جمهور خارج نطاق عائلتي وأقربائي وأصدقائي". يضيف ملاعب: "منذ أكثر من ثلاثين سنة وأنا أسمع بامكانية انشاء متحف لبناني للفن المعاصر. لا أريد ان أنتظر أكثر!" ويقول إنه يقيم معرضاً فنياً كل سنة أو سنتين ولكن ذلك لا يكفي، فهناك بعض الأعمال يريدها أن تبقى لتكون إما نواة لمشروع فني مستقبلي حضاري حسّي، يستطيع كل زائر أن يراها، وهذا ما يعمل عليه. يذكر ملاعب أن بعد غياب العديد من زملائه الفنانين شعر بالخطر الحقيقي، وبدأت الأسئلة تتزاحم في رأسه: أين أعمالهم؟ مخزنة أو محجوز عليها؟ هل هي موضوعة في السوق ويجري التصرف بها بشكل تجاري بحت؟ هذا أمر يعزّ عليه كثيراً ولا يريد أن تلقى أعماله ذات المصير بسبب الغياب المؤسف لمتحف وطني يحتضن الأعمال الفنية اللبنانية...

غير أن أجمل ما قاله ملاعب حول بناء متحفه الخاص وأبلغ ما يختصر شخصيته الشغوفة والثائرة على واقع الحال هو في هذه الكلمات **"أريد ان أشعر أن أعمالي حيةّ! أسمع ما تقول وأرى كيف تتحول في نظري وفي نظر الآخرين. الحقيقة أنه من الشاق جداً بناء متحف ومسؤولية تاريخية كبيرة. مهندس المتحف شخص بارع جداً وكانت**

لديه اجتهادات كثيرة
ولكنها لم تكن كافية، لذلك أضفنا إليها خبرات وتقنيات أخرى حتى خرجنا إلى التنفيذ بأقل أخطاء ممكنة. بالنهاية هذه ليست مهمتي: بناء متحف لأعمالي! أنا فنان ومهتمي أن أقدم أعمالاً فنية على مستوى عال من الجمالية والإتقان. لن يلومني أحد إذا صنعت متحفاً فيه أخطاء!"

أكثر ما يسعدة أن بناء المتحف لم يسرق منه الوقت الذي يحتاجه لممارسة العمل الفنيّ شبه اليومي.
يرى جميل ملاعب هذا المتحف وكأنه منحوتة كبيرة له، أراه وكأنه جزء من حياة، جزء من بيت يعيش ويتنفس ويحلم وعمل فيه. انه جسمه الخارجي. جسم لا ينتهي. يتحول ويتجدد. يتمنى حين يغلق الباب أن لا يُغلق فعلا، بل يظل مفتوحاً لغيره لكي يلعب اللعبة ذاتها: يرى ويتمعن، ويتأمل وينتقد ويقول قوله. ويتمتع بجاذبية خاصة لكل من رآه حتى وهو لم يزل في بداية تشيده.

©جميع الحقوق محفوظة لموقع المدن 2017